دار
القديس يوحنا الحبيب
للنشر

عظات وتفاسير آبائية

٥

الروح القدس

للقديس يوحنا فم الذهب

مقدمة الناشر

لما كان الاحتياج لتغذية المكتبه العربيه بتفاسير الكتاب المقدس رأت **دار القديس يوحنا الحبيب للنشر** و المنبثقه من المركز الأرثوذكسى للدراسات الدينية القيام بترجمة تفاسير الكتاب المقدس لآباء الكنيسة فى القرون الأولى للمسيحية أمثال القديس يوحنا فم الذهب والقديس أوغسطينوس والقديس كيرلس السكندرى والقديس مار إفرام السريانى لتكون كمنهل يستفيد منه الجميع فى تفسير الكتاب المقدس

والكتاب الذى بين يدى القارىء عباره عن العظه (رقم ٤) من عظات القديس يوحنا فم الذهب فى تفسير انجيل القديس متى مترجمة عن مجموعة

NICENE AND POST-NICENE FATHERS

IRST SERIES (VOLUME 11)

والجارى ترجمتها ونشرها باللغة العربية مع باقى عظات القديس يوحنا فم الذهب فى تفسير العهد الجديد .

نرجو أن تكون هذه العظه وباقى العظات سبب بركه ونفع لكثيرين ببركة **السيدة العذراء والقديس يوحنا الحبيب** شفيع الدار وبصلوات صاحب القداسة البابا المعظم **الأنبا شنودة الثالث** أدام الله لنا حياته .

الأنبا بطرس

الأسقف العام

الروح القدس

«ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت» (عدد ١، ٢) .

أفلا ترون الرمز ؟ ما هى الخمسين هذه ؟ أنها الوقت الذى حان قبل أن يوضع منجل الحصاد على الزرع، أنه ساعه جمع المحصول وضمه، جاءت ساعة الحقيقية، تلك التى فيها تأتى الكلمة حاده قاطعة كحد المنجل، أنها لحظة نزول الروح القدس واستمع إلى كلمات السيد المسيح **«ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول أنها قد ابيضت للحصاد»** (يو ٤:٣٥)، **وفى موضع آخر «الحصاد كثير لكن الفعله قليلون»** (مت٩: ٣٧)، وكثمار مبكره لهذا الحصاد حمل السيد المسيح بنفسه طبيعتنا وصعد بها عالياً، لقد كان هو بذاته ـ له المجد ـ أول من وُضع عليه حد المنجل حسب القول **«وعندما خرج الزارع ليزرع زرعه... وهذا هو المثل الزرع هو كلام الله»** (لو٨:٥، ١١)، الكلمة المستخدمة فى

النص الكتابى الحديث هى الزرع أو الحصاد أما الكلمة التى يستخدمها القديس يوحنا فم الذهب فهى **«العنصـــرة»** أى عندما يجىء يوم حلول الروح القدس إذ أن الوقت قد أزف ولم يتبق لمجيئه سوى زمن قليل لأنه كان من الضرورى للأحداث التى سوف تقع أن تكون متزامنه مع الفصح، وحتى يتمكن أولئك الذين شهدوا صلب السيد المسيح من أن يكونوا حاضرين **«وصار بغتة من السماء صوت»** (عدد ٢) ولماذا يا ترى لم تمر هذه الحادثة دون علامات ملموسه ومحسوسه ؟، من أجل ذلك السبب وهو : - أنه حتى ولو أن هؤلاء الرجال (الرسل) كانوا ممتلئين من **«الخمر الجديد»** فماذا كانوا سوف يقولون لو لم تحدث على هذا النحو ؟ وكذلك لأنه الصوت الذى جاء كان آتياً من السماء كذلك حدوث ذلك الصوت بغتة فاجأهم وجعلهم ينتفضون وجاء بهم جميعاً إلى ذلك الموضع، إذ كان **«كما من هبوب ريح عاصف»** ذلك كان ما يميز القوة الهائلة المكتسحه للروح القدس **«وملأ كل البيت»** وحتى أن جميع من كانوا هناك مستحقين لهذه النعمه، ولم يكن ذلك هو كل ما جرى، بل كان هناك ما هو أشد هولاً.

«**وظهـرت لهـم ألسنة منـقـسـمــه كـأنـهــا من نار وأستقرت علي كل واحد منهم**» (عدد ٣) .

وأنظر إلى القول «**كأنها من نار**» وحتى لا يكون لديكم فكرة حسية عن الروح القدس وكذلك القول «**كما من هبوب ريح عاصف**» أى أنها لم تكن ريحاً عاصفاً مما نألفه فى حياتنا تماماً مثل القول «**كأنها من نار**» ولكنها ليست تلك النار التى نعرفها كبشر. ولأن الروح القدس عندما تجلت ليوحنا المعمدان جاءت مثل حمامة فوق رأس يسوع، ولكن فى هذا الموضع، حيث كان يجب أن يمتلىء عدد كبير بالروح القدس كانت مثل ألسنة من نار أستقرت على كل واحد منهم، وهو ما يعنى أنها جاءت ومكثت وبقيت عليهم فيما تلى ذلك لأن معنى الاستقرار هو المكث والبقاء والأستمرار.

وهل جاء الروح القدس على الاثنى عشر فقط ؟ كلا بل حل على المائه والعشرين، لأنه ليس عبثاً استشهاد بطرس الرسول بقول النبى «**ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم احلاماً ويرى شبابكم رؤى؟**» (يؤ ٢:٢٨) .

«وأمتلأ الجميع من الروح القدس وأبتدأوا يتكلمون بألسنة أخري كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (عدد ٤) .

وحتى لا يكون التأثير عليهم هو بالخوف فقط، كان ذلك بالروح القدس وبالنار، وبدأوا يتكلمون بلغات وألسنة غير لغاتهم وألسنتهم «بالروح القدس والنار» (مت ٣:١١) لأن الروح القدس هو الذى منحهم المقدرة على النطق بهذه الألسنة ولم يتلقوا أى آية أخرى - فى أول الأمر - لأنها كانت جديدة بالنسبة لهم، ولم يكن هناك احتياج لآية أخرى.

وأنظر إلى قول كاتب السفر **«وأستقرت على كل واحد منهم»** ولاحظ أنه منذ ذلك الوقت لم يكن هناك ما يدعوا أياً منهم للحزن والأسى مثل حزن متياس الذى لم يتم اختياره ضمن الأثنى عشر **«وامتلأوا»** يقول كاتب السفر ، أى أنهم لم يتلقوا، مجرد تلقى نعمة الروح القدس بل أمتلأوا وأفعموا بها، وبدأوا يتكلمون بألسنة أخرى إذ أعطاهم الروح القدس أن ينطقوا ولو لم يشارك جميع الحاضرين فى هذه النعمه لما كان قبل أمتلأ الجميع، أى جميع الرسل إذ لو لم يكن الأمر كذلك لذُكِرَ الرسل واحداً واحداً

بأسمائهم ولأنه سبق وذكر الرسل الأثنى عشر بالأسم فى ما سبق ولكنه هناك وضع الجميع سوياً على قدم المساواه، وإلا كان ذكر الرسل الاثنى عشر على حدة فاصلاً إياهم عن الباقين ولاحظ أيضاً أننا عندما نصلى فى إلحاح وبإستمرار وعندما نصنع الخير وكل بر عندذاك يقترب منا الروح القدس.

ويذكرنا ذلك برؤيا أخرى ظهر فيها الله فى العليقة كنار **«وظهر له ملاك الرب كلهيب نار من وسط عليقة، وإذا العليقه تتوقد بالنار والعليقه لم تكن تحترق»** (خر ٣:٢) .

ولقد منحهم الروح القدس موهبة النطق بالألسنة، ولأن ما تفوهوا به كان نطقاً مقدساً :

«**وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم**». إذ كان معنى سكناهم أورشليم أنهم كانوا أتقياء، لأنهم كانوا آتين من بلاد كثيرة، تركوا أوطانهم ومنازلهم وأهلهم وجاءوا وسكنوا هناك». (عدد ٥) .

«**فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته**» (عدد ٦)، ولأن ما

حدث كان داخل منزل، فلابد أن أولئك أتوا من خارج المنزل وتحيروا وكانوا فى اضطراب عظيم. وأندهشوا جميعاً لما حدث ناظرين إلى الرسل.

«فبهت الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التى وُلد فيها. فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وأسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية التى نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وعرب نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله. فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض ما عسى أن يكون هذا. وكان أخرون يستهزئون قائلين أنهم قد أمتلأوا سلافة» (عدد٧-١٣) .

ويا لشرهم العظيم وخبثهم الزائد عن الحد، إذ لم يكن هذا وقت مناسب لذلك ، إذ كان هو الخمسين **(العنصره)** ولأن هذا ما يجعل الأمور أكثر سوءاً، إذ بينما كانوا معترفين بأن هؤلاء

الرجال كانوا يهوداً ورومانيون ودخلاء، وربما كان بينهم من صلبوا المسيح ولكنهم وبعد كل هذه الآيات يقولون عنهم أنهم أمتلأوا سلافه (خمراً جديداً). وهنا دعنا نتكلم بكل ما سبق وقيل منذ البداية (استعراض لما سبق) **«وعندما كان يوم الخمسين»** الخ **«وملأ كل البيت»** كما قال وهذا الريح العاصف كان مثله مثل الماء المتدفق المنهمر، أى ما يدل على الغزارة والتدفق، كما تدل النار على الشراسة والنفاذ ذلك كله لم يسبق وحدث بالنسبة لأى من الأنبياء، إذ عندما كانت تلك النفوس (فى العهد القديم) يستولى عليها الروح القدس ويخترقها لم يكن يصحب ذلك مثل هذا الاضطراب الشديد لأن الرسل هنا كانوا مثل الذين **«امتلأوا سلافه»** من الخمر الجديد، أى من الخمر الذى للعهد الجديد، ولم يكن ذلك هو الحال مع أنبياء العهد القديم، ومثال لذلك حزقيال الذى تلقى العطيه الربانية بأن أعطى له درج (كتاب مطوى) وقيل له **«أطعم بطنك وأملأ جوفك بهذا الدرج»** (حز٣:٣)، وأكل حزقيال ما كان سوف ينطق به من بعد **«وصار فى فمه كالعسل حلاوة»** (ومرة أخرى تلمس يد الله لسان نبى آخر، وهو هنا الروح ذاته

«ومد الرب يده ولمس فمى وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك» (أر ١:٩) .

وقد كان مناسباً لهم كأنبياء – أن تكون تلك العطية فى صورة كتاب، لأنهم كانوا لازالوا فى حاجه إلى صور مشابهة. لأنهم كانوا مرسلين للتعامل مع أمة واحدة، وهى نفس الأمة ونفس الشعب الذى ينتمون إليه، أما الرسل فقد كانوا مرسلين للتعامل مع المسكونة كلها، ومع أناس لم يسبق قط أن عرفوهم، والنبى أليشع أيضاً تلقى النعمة من عباءة أووشاح (٢مل١٣:٢) .

أما داود فمسحة الزيت **«فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط أخوته»** (١صم ١٦:١٣)، وموسى من خلال النار فى العلينة (خر ٣:٢) أما فى حالتنا الراهنه فلم تجرى الأمور على هذا النحو بل النار ذاتها أستقرت عليهم (ولكن ترى لما لم تُرى النار تملأ المنزل ؟ قطعاً حتى لا يصابوا بالفزع الشديد) ولكن القصة توضح لنا أن الأمر كان هو بعينه إذ الروح قد أعطى لأولئك وهؤلاء، ولا تتوقف بفكرك عند مجرد انطلاق

الألسنة باللغات واللهجات المختلفة، بل تأمل فى أنها كانت ألسنة من نار، تلك النار الخالده التى لا ينطفىء لها ضرام، والتى تمدهم بطاقة لا تنفذ. وجيدٌ ذلك القول بأنها كانت ألسنة منقسمه لأن ذلك يعنى أنها من أصل واحد نابعه، وحتى نفهم وندرك أنها آية من المعزى.

ولاحظ أيضاً كيف أن هؤلاء الرسل اثبتوا أولاً أنهم مستحقين لنعمة الروح القدس، ثم بعد ذلك تلقوا هذه النعمة لأن داود النبى صنع بعد انتصاره وتكريمه نفس ما صنعه وهو بين الخراف فى المراعى، وهو ما يثبت كيف كان إيمانه بسيطاً ومطلقاً فى نفس الوقت، وأنظر أيضاً كيف أحتقر موسى المُلك والسلطان وضحى بكل شىء وقاد شعبه أربعين عاما وصموئيل ظل حبيس الهيكل (١صم ٣:٣) وكذلك أليشع الذى ترك كل شىء (١مل ٢١:١٩) كذلك قيل عن حزقيال وهو ما أتضح فيما بعد، وأنظر كيف أن أولئك جميعاً تركوا كل ما كانوا يملكون، وأدركوا جيداً مدى النقص البشرى والضعف الإنسانى من خلال معاناتهم وآلامهم، وكذلك عرفوا أنه تلك العذابات والآلام لم يكن بلا جدوى، بل كانت طرقهم لعمل الأعمال الصالحة

(١صـــــم٩، ١٠:١١:٦) وحتى شاول وعندما ظفر بالشهادة له على صلاحه نال الروح القدس، ولكن لم ينال أحداً منهم نعمة الروح القدس بنفس الطريقة التى نال بها الرسل هذه النعمه.

إن موسى الذى كان أعظم الأنبياء وعندما جاءت الساعه التى فيها ينال آخرون نعمة الروح القدس أخذت منه وبذلك أُنقِصَ قدره **«وآخذ من الروح الذى عليك واضع عليهم»** (عد١١:١٧) .

أمـا فى حـالة الرسل فلم يكن الأمـر كـذلك، لأن النار هنا تشتعل وتضىء بألسنة لهيب عديدة، وهكذا ظهرت عظمة الروح وضخامتها، إذ أن كل واحد نال ينبوعاً كاملاً من ينابيع الروح، وكما قال الرب بنفسه من قبل **«الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع مـاء ينبع إلى حياة أبديه»** (يو٤:١٤) وكان ذلك لسبب وجيه، لأنهم لم يكونوا ذاهبين ليحاجوا فرعون بل ليصارعوا الشيطان، وكان مما يدعو للعجب أنهم لم يعترضوا أو يتململوا، ولا هم قالوا لست صاحب كلام... بل **«أنا ثقيل الفم واللسان»** (خر ٤:١٠) (كما قال موسى)، لأن موسى قد علمهم جيداً. ولا قالوا كما قال أرميا **«أنى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد»** (أر ١:٦) لأن أرميا جعلهم أكثر حكمه وفهماً. ورغم أنهم

سمعوا عن أشياء مخيفه كثيره أفظع بكثير مما واجهوه من قبل، ولكنهم خشوا أن يعترضوا، ولأنهم كانوا ملائكة النور، ورسل الأمور السمائية الآتية من عند الله (**«وبغته صار صوت من السماء... الخ»**) أما بالنسبة للأنبياء القدامى فلم يظهر لهم أحد من السماء بل كانوا يقومون بمهمه على الأرض، ولكن بالنسبه للرسل فإن **«إبن الإنسان» «الله فى الجسد وقد صعد إلى السماء حينئذ نزل الروح القدس بكل القدره والسلطان من الاعالى»**.

«كما من هبوب ريح عاصف» وهكذا حتى ندرك أنه لن يكون هناك ما يمكن أن يقف فى طريقهم أو يقاومهم، ولكنهم - كريح عاصف - سوف يكتسحون أعدائهم ومقاوميهم، ويبددونهم مثل ما تبدد الريح حفنه من التراب.

«وملأ كل البيت» وهنا فإن المنزل هو رمز العالم **«وأستقرت على كل واحد منهم»** الخ **«واجتمع الجميع وتحيروا»** ولاحظ مدى تقواهم، أنهم لم يصدروا أحكاماً متسرعه، ولكنهم أرتبكوا بينما أولئك الأشرار الخبثاء يقولون بأشياء تدل على شرهم **«أنهم امتلأوا سلافه»** ولقد كان هؤلاء الذين يقيمون فى أورشليم من

اليهود، من الذين يحرصون على التواجد فى الهيكل ثلاث مرات فى السنة - وذلك طاعه لأحكام الناموس - لذلك سكنوا هناك وكانوا **«رجال أتقياء من كل أمة»**، ولا يقصد كاتب السفر بهذا القول منافقتهم، إذ لم يذكر أنهم كانوا لهم رأى محدد، بل **«فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيروا»**، وكان لهم الحق فى ذلك إذ هم ظنوا أن الأمر سيتطور فى غير صالحهم بسبب الغضب والعنف الذى أرتكب فى حق المسيح، كذلك استيقظت ضمائرهم وتحركت نفوسهم منذ كان دم المسيح يلطخ أيديهم وكل ما كان يحيط بهم كان ينذرهم بالعقاب **«أترى ليس جميع هؤلاء جليليين»**، وهم هنا - يعترفون بذلك **«فكيف يسمع كل واحد منا لغته التى ولد فيها»** وهكذا كان رد فعلهم انزعاجاً وتوتراً، لأن العالم كله بجميع شعوبه كان مجتمعاً هناك **«فرتيون وماديون.... الخ»** وقد شجع هذا الرسل، لأنه أتى لهم أن يعلموا كيف كان الفرتيون يتكلمون ولكنهم الآن علموا مما سمعوه منهم، وهنا يرد ذكر أمم وشعوب تعادى اليهود مثل الكريتين والعرب والمصريين والفرس، وكان من الواضح أنهم فى هذا الموضع قد تغلبوا عليهم جميعاً، وربما كان وجود هؤلاء الناس

من تلك الشعوب المعادية لليهود بسبب وقوعهم فى الأسر أو ربما كانت شريعة اليهود منتشرة بين الأمم فى هذه البلاد لذلك فإن الشهادة للرسل جاءت من أركان المعموره كلها ومن المواطنين، والأجانب والدخلاء **«وسمعناهم يتحدثون بألسنتنا بعظائم الله»** إذ هم لم يتحدثوا بلغاتهم فقط بل ما يتحدثون به كان من عظائم القول وغرائبها أو يمكن بعد كل هذا الذى حدث، والذى لم يكن له نظير من قبل أن يستولى عليهم الشك، وأنظر إلى مهارة هؤلاء الرجال وذكائهم لقد كانوا مندهشين، وكانوا فى شك من أمرهم يتساءلون **«ترى ما معنى هذا كله»** ولكن هناك آخرون كانوا يستهزئون ويسخرون قائلين عن الرسل **«أنهم امتلأوا سلافه»** (أع٢:١٣)، وياللوقاحة وسلاطة اللسان وإن كان ذلك ليس بغريب، لأنهم قالوا عن الرب نفسه إذ كان يطرد الشياطين أن به شيطان، ولأنه هكذا دائماً تكون الأمور بالنسبه لأولئك الذين يؤكدون كلامهم بسلاطة اللسان، إذ هم لا هم لهم سوى الحديث السيىء القبيح دون النظر إلى مدى صدق كلامهم أو علاقة هذا الكلام بالموضوع المطروح للحديث، أنهم يلقون الكلام على عواهنه (أنهم امتلأوا سلافه) ياله من قول شنيع

(أليس كذلك) وأن يقال عن ناس تحيط بهم الأنظار من كل جانب، ويتوقعون من الأمور أسوأها، وفى ضيق ما بعده ضيق أن تكون لديهم الشجاعه لمثل هذا القول ولاحظ، أنه رغم أن سكرهم كان بعيد الإحتمال (لأن الوقت كان مبكراً فى النهار) فهم يعزون الأمر لا لكمية الخمر التى شربوها بل لنوعها ويقولون أنهم امتلأوا بها وإن كان بطرس الرسول قد سبق وتصدى لهم **«وفى تلك الأيام قام بطرس وسط التلاميذ»** (أع١:١٥) ورفع صوته بينهم، وهنا مرة أخرى تظهر شجاعته لأنهم إذ كانوا مندهشين مذهولين، كان شيئاً عجيباً أن يستطيع بطرس برباطة جأشه وسط هذا الكم العظيم من اللغات والألسنة أن يجد اللغة المناسبة وهو الإنسان الأمى الجاهل الذى لم يسبق له تلقى العلم وإذا كان الفرد منا يشعر أحياناً بالحرج ويعانى صعوبه فى التحدث بين أصدقاء له، فكم بالحرى يكون اضطرابه إذا كان حديثه موجهاً إلى أعداء متعطشين لسفك الدماء. وقد برهن بصوته القوى على أنهم لم يكونوا سكارى بفعل الخمر وأنهم ليسوا غائبين عن الوعى، كما تقولوا عليهم بمقالة السوء، كما أنهم متماسكين وغير واقعين تحت أى ضغط من أى نوع.

«**فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم**» (عدد١٤) .

ترى ماذا يعنى القول «مع الأحد عشر»؟ معناه أنهم كانوا يعبرون عن رأيهم بصوت واحد وبلسان واحد يتكلم عنهم كلهم. ووقف الأحدى عشر شهود على ما قيل «**ورفع صوته**» أى تكلم بمنتهى الثقة، وحتى يمكنهم إدراك قوة الروح القدس، هو نفسه بطرس الذى لم يستطيع من قبل - أن يتحمل ويصمد لسؤال موجه من فتاة جارية، الآن وفى وسط جمع شرس شرير تخرج مع أنفاسهم نية القتل يواجههم ويتحدث إليهم بثقة وشجاعة مقيماً الدليل الذى لا يدحض على القيامة بين رجال يأخذون الموضوع على أنه دعابة ونكتة، ويستهينون به، ويالوقاحتهم ويالما وصلوا إليه من كفر وبعد عن التقوى ويالتبجحهم لأنه هكذا دائماً أينما حل الروح القدس فهو يفرز الرجال الذين من ذهب قد صنعوا من أولئك الذين هم من طين، وأنظروا أيها الإخوة، هذا العديم الشجاعه والذى بلا فهم «**فأجاب بطرس وقال له فسر لنا هذا المثل. فقال يسوع هل أنتم حتى الآن غير فاهمين**» (مت ١٥:١٦) .

ذلك الرجل الذى حتى بعد هذا الإعتراف قيل عنه أنه «شيطان» **«فالتفت وقال لبطرس أذهب عنى ياشيطان»** (مت ١٦:٢٣)، وأنظر أيضاً الى اتفاق الرسل وإجماعهم على أن يكون هو المتحدث بإسمهم، لأنه ليس من الضرورى أن يتحدث كل واحد منهم ورفع صوته وبجسارة شديدة واجه الناس وكلمهم هكذا يكون الإنسان الروحانى **«الممتلىء من الروح القدس»** ويمكننا أن نؤهل أنفسنا حتى نكون مستحقين لنوال النعمه التى من فوق، وبعد ذلك تصبح كل الأمور سهله علينا ميسره لنا ولأنه مثل رجل من لهب يسقط وسط قش، لا يضار بشىء بل هو قادر على أن يحدث بهم الضرر والأذى، إذا هاجموه وأرادوا به الشر، ومثل رجل يحمل هشيماً يهاجم آخر يحمل ناراً، ومنذ ذلك الحين كان الرسل يواجهون مقاوميهم وأعدائهم بجسارة قلب وشجاعة وما هو يا ترى ذلك الضرر الذى يمكن أن يلحق بهم، ورغم أن مقاوميهم كانوا جمعاً كبيراً ؟ ألم ينفثوا عن كل حقدهم وكراهيتهم ألم يجلبوا على أنفسهم كل حزن وشقاء ؟ ومن بين جميع البشر أكان هناك من هم أكثر حقداً ولا رعباً وغضباً ؟ ألم

يكونوا فى عذاب وفى إحباط وخيبة أمل، يرتجفون خوفاً ؟ وأسمع إلى ما قالوه. « أفتريد أن يكون على رؤوسنا دم هذا الإنسان » (أع:٢٨) أما الرسل، أفلم يحاربون الفقر والجوع، ويواجهون التجاهل والتشهير (لأنهم قيل عنهم مخادعين ومحتالين)، أو لم يحاربوا ضد الإحتقار والنبذ، والسخط والسخرية والمهانة ؟، اذ كان رد الفعل ضدهم يجمع بين المتناقضات، فالبعض يسخر منهم، والبعض الآخر عاقبهم ألم يكونوا هدفاً لمشاعر الكراهية، وموضعاً لتفكه سكان المدن وسخريتهم؟ وتعرضوا للإتهامات الكاذبة والمؤامرات، ألم يلقى بهم فى النيران، ووضع عليهم حد السيف، والقوا للسباع المتوحشة ؟ ألم تُشَنُّ عليهم الحرب من كل أركان الدنيا وبأشكال وبصور لا حد لها؟ ورغم كل ذلك هل أثر كل ذلك فى عقولهم أو فى قلوبهم، بأكثر مما كان لو أنهم كانوا قد عانوا منه حلم من أحلامهم، أو يتخيلوه صوراً فى مخيلتهم ؟ وبأجسادهم المجردة، وأيديهم الخالية من كل سلاح خاضوا ميدان القتال فى مواجهة المدججين بالسلاح، أولئك الذين واجهتهم كل القوى، إذ كان يتحداهم طغيان الحكام

وارهـابـهم، وقوى الجيوش، فى المدن وفى الحصـون والقـلاع، وهم الذين لم يكن لهم أى قوة ولا لديهم مـهاره فى الحديث، ولا لياقة اللسان بل كانوا رجالاً عاديين بسطاء، وفقراء وقفوا وقفة السيـد لأسـاتذة القول فـصـحـاء الخطابة والمدعـين، وتحـدوا جـماعة السفسطائيين مـجـتمعين، وصـمـدوا أمـام البلغـاء أصـحـاب البيـان، وأمـام الفـلاسـفـة الذين تربوا فى أحـضـان الأكاديمية (مدرسة أفلاطون الفلسفية) وسـاروا مع المشائيين (أصـحـاب الفلسـفـة المشـائية ـ الأرسطيـة) خـاضـوا ضـد هؤلاء جميعاً مـعركتـهم وخرجوا منها فـائزين منتصـرين. أما ذلك الرجل الذى لم يكن له من عمل سـوى فى البـحـيرات، وصـيد السـمك تفوق عليـهم وهزمـهـم وفى سـهوله ويسـر كـأنه لم يكن يتحدث إلا الى أسماكه البكماء والخرسـاء ونال منهم كما أراد. وحتى أن إفـلاطون، والذى تحدث فى أيامه بلغو كثير صمت الآن تماماً، بينما ذلك الإنسـان البسيط ذاع كلامه وأسـمع كل الناس، وليس فقط بين مواطنيه ولكن وسط الفرتيين، والماديين، والعـيـلامـيـين، وفى بلاد الـهند، وفى كل بقـاع الأرض والى أطراف المسكونة.

أين هى الآن اليونان، وأين مزاعم الإغريق، أين اسم أثينا؟ وأين تهيمات الفلاسفة وأقوالهم ؟، أن ذلك الذى من الجليل، والذى من بيت صيدا، ذلك الريفى البسيط غلبهم جميعاً. أنتم أيها المدعون أفلا تخجلون من مجرد ذكر تلك البلدة التى جاء منها ذلك الذى أوقع بكم الهزيمة ودحركم دحراً. ولكن أين سمعتم أسمه، وأنه كان يدعى صفا سوف يكون عليكم أن تواروا وجوهكم خجلاً وخزياً. لأنكم حسبتم ما قيل لكم تأنيباً، وظننتم أن حلو الكلام ومعسوله هو مديح لكم، وإعتقدتم أن فى غياب هذا الكلام المعسول، احتقار لكم وتقليلاً من قيمتكم، أنكم لم تسيروا فى الطريق الذى كان عليكم تطرقوه وتجتازوه رغم أنه كان سبيلاً سهلاً لينا ناعماً، وفضلتم عليه طريقاً وعراً، منحدراً، مجهداً، لذلك لم يمكنكم الوصول الى ملكوت السماء .

وهنا يطرح تساؤل، لماذا يفرض المسيح سلطانه على إفلاطون وفيثاغورس ؟ لأن عقل بطرس كان أكثر تفلسفاً من عقولهم. وهم لم يكونوا سوى أطفال يتجاذبهم من كل ناحية الزهو والإعجاب بالنفس والغرور، أما ذلك الرجل (بطرس) فقد كان بحق فيلسوفاً، ومستحقاً لنوال النعمة. إذا كان هناك من

يسخر من هذا الكلام فلا عجب، فقد سخروا منه من قبل، وقالوا عن هؤلاء الرجال (الرسل) أنهم أمتلأوا سلافة، ولكنهم بعد ذلك، وعندما عانوا من - مصائب وكوارث مريرة، وكانوا فى شقاء وبؤس فاق كل شىء، وعندما شهدوا مدينتهم (أورشليم) تتساقط أحجارها منهارة والنيران تشتعل فيها، وأسوارها وقبابها تتهاوى متهدمة، وواجهوا ذعراً وفزعاً يقصر اللسان عن وصفه، وقتها لم يضحكوا ساخرين، وأنتم ترى هل ستضحكون، عندما يأتى ذلك الوقت، ويصبح الجحيم قاب قوسين أو أدنى، عندما توقد النار التى سوف تلقى فيها نفوسكم، ولكن، ولماذا أتكلم عن المستقبل ؟ أفلا أريكم ماذا كان أفلاطون الفيلسوف وماذا كان بطرس؟ ونتأمل فى سلوك كل منهما وعاداته. واحد قضى عمره وبدد حياته لكى يضع لنا مبادئاً وأطروحات لا فائدة منها، ورغم أنها أقوال فلسفية - كما يزعم كى نتعلم منها أن روح فيلسوفنا سوف تصبح فى ذبابة. نعم وأنى صادق فى كلامى، لقد قال أنه سيصير ذبابة ليست أنه سيتحول الى ما يشبه ذبابه، ولكن ذبابه حقيقية تستولى على نفس وروح أفلاطون الساكنه فى داخله وبالحق

لا يستحق صاحب هذه الأفكار سوى أن يصبح ذبابه ولقد كان إنساناً مليئاً بالسخرية والتهكم ومشاعر الحسد حيال كل إنسان آخر، وكأن كل أماله وطموحه كانت محصورة فيما لا يضر ولا ينفع، سواء كان ذلك نابعاً من فكره أو من الآخرين لذلك تبنى مذهب «تناسخ الأرواح» من شخص آخر، وإبتدع فكرة «الجمهورية» حيث يُعمل فيها بتلك القوانين المليئة بكل ما هو غليظ وقاسى من أشكال القبح والشناعة إذ يقول، دع النساء يصبحن مشاعاً للرجال، والعذارى يتجولن عاريات، ويتصارعن أمام عشاقهن، وليكن الآباء لكل الأطفال دون تحديد، كذلك الأطفال الذين يولدوا يكونون أبناء للكل. أما بالنسبة لنا (نحن ـ المسيحين) فإن أبوتنا أبوه عامة لكل أبنائنا ـ حسب فلسفة بطرس الرسول ـ ولكنها ليست الأبوة بالجسد وبالطبيعة البشرية، (بل أبوة الروح)، وهى لا تُسْقِط تماماً الإبوة الطبيعية كما فعل أفلاطون. لأن نظام أفلاطون يتجاهل تماماً الأبوة الطبيعية وأسقطها ـ واستبدل بها نوع آخر كاذب من الأبوة. أنه أغرق النفس فى نوع من غياب الوعى وجعلها تتمرغ غارقة فى القذارة أليس هو القائل فليضاجع الجميع

النساء دون خشية أو خجل، وأنى لأبتعد عن مناقشة أقوال الشعراء ومأثوراتهم حتى لا أتهم بأنى أستعرض الخرافات والقصص والخيالات والأساطير، ورغم ذلك أجد نفسى أتحدث عن خزعبلات أشد سخفاً من تلك التى وردت فى كلام الشعراء ونظمهم، لأنه وفى أى موضع طرح الشعراء أقوالاً تبلغ هذا الحد من الشؤم والنحس ؟ ولكن (ودون الدخول فى مناقشة أقواله المأثورة الأخرى) ما قولك فى دعواته الى تسليح الإناث بالأسلحة والخوذات، والدروع، وقوله أن الجنس البشرى لا يختلف فى شيء عن الذئاب أو الضباع ولأن الكلاب ذكوراً وأناثاً، تصنع نفس الشيء، فماذا يمنع الرجال والنساء من أن يقومون بنفس الأعمال وحتى ولو أدى ذلك الى قلب الأمور رأساً على عقب، ولأن الشيطان حاول دائماً مستخدماً مثل هؤلاء (الفلاسفة) أن يثبت أن الجنس البشرى ليس بأفضل من الحيوانات والوحوش، وللصدق هناك البعض وصلوا فعلاً الى هذا الأسفل من الفكر لدرجة أنهم إعتقدوا بل وأكدوا على أن المخلوقات الغير عاقلة، تتمتع بالعقل والتفكير.

أنظر كيف هو بأساليب مختلفة دَمر عقول هؤلاء الناس، وبينما

مثل هذا الحمق يحتاج (طبعاً) الى عقول وأذهان فائقة الذكاء.
وحتى يمكن أن تعرفنى بكل هذا الكفر والبعد عن التقوى بل هذا الإضطراب والخلل العقلى. أتتحدثون أيها المعتوهون بلغة الغربان كما يفعل الأطفال أثناء لعبهم ولهوهم ؟ أنكم حقاً مثلهم أطفال، أما بطرس فلم يحاول أن يقول بمثل هذا الكلام بل نطق بصوت، كان بمثابة نور عظيم أضاء فى الظلمة ذلك الصوت الذى بدد ضباب العالم ودحر الظلام الذى كان يسود فيه، ولتنظروا مرة أخرى الى سلوكياته كانت رقيقة، وفيها مراعاة للآخرين، وكانت بعيدة عن الزهو والتفاخر والغرور، وكيف كان يتجه بنظره نحو السماء، دون إنتفاخ وتكبر، حتى أثناء ما كان يقيم الموتى، ولو كان واحداً من هؤلاء المجانين أعطى مثل هذه القدرة والسلطان (وذلك بالطبع فى الخيال) واستطاع أن يصنع شيئاً شبيهاً بما صنع (بطرس) لكان - وبلا تردد - طلب بنفسه مذبحاً ومعبداً يتخصصان لعبادته معتبراً نفسه مساوياً للآلهة. ولكنهم محرومين من مثل الآيات، نجدهم يمعنون فى الإحتيال وخداع الناس، وأنى أتسائل عمن تكون مينيرفا وابوللو وجوبتير «تلك اللاتى تقدسونهن اليسوا

هم شياطين وسطكم وهناك من بينهم ملوك يرغبون ويتحرقون شوقاً كي يحسبوا مساوين لتلك الآلهة الكاذبة. أما هؤلاء الرجال الذين تحدث عنهم (الرسل) فهم على العكس من كل ذلك وأنظر كيف كان حديثهم عن شفاء الرجل الأعرج العاجز «أيها الرجال الإسرائيليون، ما بالكم تتعجبون من هذا ولماذا تشخصون الينا كأننا بقوتنا أو تقوانا جعلنا هذا يمشى» (اع ٣:١٢) أننا لسنا سوى بشر، لنا مثل ما لكم من الآلام «نحن أيضاً بشر تحت آلام مثلكم» (اع ١٤:١٤)، أما أولئك، فهم فى زهو وتعال كبيرين، وانتفاخ وتكبر عظيمين ولا هدف لهم سوى طلب المديح والكرامة والمعطاة من الناس دون أى اعتبار لمحبة الحق والصدق الطاهرة النقية، وانتقاء الفضائل لذاتها ولأن فضلاً وصنيعاً معيناً، عندما يستهدف المديح والمجد الذاتى، يصبح بلا قيمة، ولأن الإنسان يمتلك كل شىء ولكنه ان لم يسيطر على هذه (الشهوة) لا يصبح له فرصة فى أن يدعى أى فلسفة، إذ أصبح سخيفاً مقيداً بقيود الشهوات الطاغية المخزية. أما إحتقار المجد الذاتى فهو المعلم لكل صلاح، ذلك الذى يطرح عن النفس كل الشهوات الخبيثة ويجردها منها.

لذلك أعظكم أيها الأخوة كى تبذلوا كل جهد وكى تقلعوا تلك الشهوات من جذورها إذ ليس هناك سبيل آخر كى تتصالحوا مع الله سوى هذا وحتى تكونوا مستحقين لأن ترعاكم عين الله الساهرة التى لا تنام، ولنجتهد ونتعب فى جد لننال ونستمتع بالسلطان السماوى وبذلك نهرب من التجارب الشريرة الراهنة، وننال بركات الدهر الآتى، بعظمة ونعمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، مع أبيه الصالح والروح القدس له المجد والقوة والكرامة الآن والى الأبد والى دهر الدهور آمين.